

ولم يمنع هذا اسرائيل من الوقوع في تناقض مع الشعار الذي قامت وفتا له وهو : « ارض من دون شعب الى شعب من دون ارض » . فالتواجد الاقتصادي والسياسي والمسكري الاسرائيلي يمارس يوميا على شعوب الدول التي احتلت اراضيها خلال حرب حزيران (يونيو) . فالاقتصاد الرأسمالي البرجوازي الاسرائيلي يجد في اليد العاملة الفلسطينية الرخيصة والمتوافرة بكثرة في الضفة الغربية وغزة فرصة نادرة لاستغلالها في عملية تراكم ارباحه . كما وان العلاقة السائدة بين شعوب المناطق المحتلة وبين السلطات الاسرائيلية علاقة استعمارية ، من النوع الذي يسود أية علاقة بين سلطة استعمارية وبين شعب مستعمر .

بعد هذا المدخل الشيق ، والبحث الذي يركز على المنهجية العلمية في الاستقصاء والتأكد من طبيعة اسرائيل الاستعمارية - الاستيطانية ، ما هو الحل الذي يقترحه رودنسون لازالة الصبغة الاستعمارية - الاستيطانية عن دولة اسرائيل ؟ وبعبارة اخرى ، ما هي الاقتراحات «الرودنسونية» لحل الازمة العربية - الاسرائيلية ؟ اقتراحات رودنسون ، في الواقع ، ما هي الا امتداد « للايديولوجية » الستالينية التي اعترفت بدولة اسرائيل ، والتي لا تزال تنظر اليها وفتا لمفهوم أكثر تطورا - والمقصود اغوارا - لتلك الايديولوجية بعد ان اصبحت نظرية ططب دولي . فماذا يقول رودنسون ؟

رودنسون لا يعتقد بوجود حل «ثوري» للمسألة، ويحذر اولئك الذين « يحرضون على الانتقام والقتل من أبراجهم النعاجية » ، ويدعو الى تطبيق حل ابيض « غير دموي » ، ويحث الفلسطينيين على عدم اتباع الصراع المسلح ، على الرغم من ان ذلك يؤدي حتما الى قبولهم بمسألة « تشريدهم » . ويأمل رودنسون بأن يتكهن مرور الزمن « من حل المسألة » ويعيد الى العرب حقوقهم . وكى يؤكد على صحة هذه المفارقة فهو يأتي على ذكر تقسيم ايرلندا - الستر الذي وقع اثناء كتابة رودنسون لدراسته هذه (أي في عام ١٩٦٧) ، والذي اعتد عدد من المراقبين السياسيين آنذاك انه قد يؤدي الى حل المسألة الايرلندية . الا ان نهر العنف المتدفق في ايرلندا في هذه الايام يؤكد بطلان صحة تلك الادعاءات .

للقوقف ضد استقلال الشعوب العربية ، تلك الوكالات التي طالبت باقامة المستعمرات اليهودية وادخال الاقتصاد والتكنولوجيا الحديثين اليها وحرمان العرب منها بعد طردهم من اراضيهم .

ويقع رودنسون في مغالطة كبيرة عند ذكره « ان قلة نادرة من الامراء اليهود » ، التي كانت خاضعة « للايديولوجية الستالينية » خلال فترة الانتداب ، قد عارضت الصهيونية . اذ كيف يمكن ان يعارض ، من يكون خاضعا للايديولوجية الستالينية ، الصهيونية التي وفرت الاساسين الايديولوجي والمادي لقيام دولة اسرائيل ، في حين ان تلك الايديولوجية اعترفت باسرائيل فور الاعلان عن قيامها ، واعتبرت ذلك خطوة الى الامام في وسط عالم متخلف ؟ من الاصح القول ان معارضة اليهود الستالينيين للصهيونية قد ارتكزت على ما كان قد بقي في رؤوسهم من مفاهيم الاممية الماركسية ، وليس على « الايديولوجية » الستالينية التي أفصحت المجال لهم لتأييد انشاء دولة اسرائيل وفقا لسياسة ستالين الخارجية .

ويعود رودنسون ، في فصل آخر من كتابه ، الى التأكيد على طبيعة دولة اسرائيل الاستعمارية - الاستيطانية ، وخاصة من خلال نتائج حرب حزيران (يونيو) في عام ١٩٦٧ فاذا كانت اسرائيل قد تأسست عام ١٩٤٨ وفقا لقانون « ارض من دون شعب الى شعب دون ارض » الذي قبله العالم منذ ذلك الحين ، على الرغم مما لحق بالشعب الفلسطيني من تشرد وقهر وحرمان ، فان توسعها واحتلالها لاراضي ثلاث دول عربية اخرى بعد حرب حزيران (يونيو) لم يجر وفقا لهذا القانون . فقد سبق تأسيس دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ تشكيل قاعدة اجتماعية يهودية مؤلفة من المهاجرين اليهود الذين وفدوا الى فلسطين من كل ارجاء العالم وحلوا محل شعبها الذي شرد . ان اسرائيل ، حتى تلك الاونة ، « لم تصنف - وفقا لقانون العلاقات الدولية والمفاهيم السياسية السائدة - دولة ذات طابع استعماري » . الا ان ما حدث « خلال وبعد حرب حزيران (يونيو) يؤكد تلك الطبيعة » . فعند قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ طرد الشعب من فوق الاراضي الفلسطينية ، الا ان الشعب الذي احتلت اراضيها (شعوب ثلاث دول : سوريا ومصر والاردن) التصق بأرضه هذه المرة .